جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Online):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٨)، ع (١)، ص ص ١٠٧-١٢٧، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٥م/ ١٤٤٧هـ)
Journal of Arts, Vol. 38 (1), pp 107-127, © King Saud University, Riyadh (2025 /1447H.)

صورة النجدي في رحلة محمد شفيق مصطفى إلى نجد والحجاز: دراسة أدبية

فهد بن صالح الملحم

أستاذ الأدب المشارك، قسم اللغة العربية، كلية التربية بالزلفي، جامعة المجمعة، السعودية.

(قدم للنشر في ١٠/ ٤/ ١٤٤٧هـ، وقبل للنشر في ١٦/ ٦/ ١٤٤٧هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-38-1-5

الكلمات المفتاحية: صورة، أفعال، شخصية، النجدي، رحلات، محمد شفيق.

ملخص البحث: تعتمد هذه الدراسة الأدبية منهج الاستقراء والتحليل، وتتناول النص متصلًا بمحيطه. وتهدف إلى إبراز معالم الصورة للشخصية النجدية، وصورة أفعالها الواردة في رحلة الصحفي المصري محمد شفيق مصطفى إلى نجد والحجاز عام ١٣٤٦، وتأتي أهمية الدراسة من جهة أن الرحلة في زمن التأسيس للمملكة، وفي بدايات التشكيل الوطني، ولأن الكاتب ارتحل خالي الذهن؛ إذ لم ينطلق من تصور سابق، ولا أحكام مسبقة، وكان الدافع العلم والاطلاع، وامتازت مقالاته بالتنوع والإحاطة، مع الوصف الدقيق للشخصيات، وأفعالها؛ وصفًا يستند على دقة الملاحظة، وحسن المقصد، وتحري الحقيقة. وأظهر مواقفه الإيجابية حيال الشخصيات وأفعالها، وكذا السلبية حسب السياق والمقصديات، وقد تحققت نبوءته عن كيفية المآل وهو يصف تلك الحال.

The Image of Najdi in Muhammad Shafiq Mustafa's Journey to Najd and Hijaz: A Literary Study

Fahad Saleh Al-Melhem

Associate Professor of Literature, Department of Arabic Language, College of education in Al-Zuli, University of Majmaah, Saudi Arabia.

(Received: 10/ 4/1447 H, Accepted for publication 16/ 6/1447 H)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-38-1-5

Keywords: This literary study adopts an inductive and analytical approach, treating the text in connection with its surrounding context. The main objective is to highlight the features of the image of the Najdi character and the portrayal of their actions as presented in the journey of the Egyptian journalist Mohammad Shafiq Mustafa to Najd and Hijaz in the year 1346.The significance of this research lies in the fact that the journey took place during the foundational period of the Kingdom and the early stages of national formation. Moreover, the writer embarked on his travels with a clear and unbiased mind—free from prior assumptions or preconceived judgments. His motivation was rooted in a pursuit of knowledge and exploration. His articles are characterized by variety and comprehensiveness, as well as a precise description of the characters and their actions—descriptions based on keen observation, sincerity of purpose, and a commitment to truth. He expressed both positive and negative views toward the characters and their actions, depending on the context and intended meanings. Notably, his prediction regarding how events would unfold was later fulfilled as he had described during that time.

Abstract. Image, Actions, Character, Najdi, Journeys, Mohammad Shafiq.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

للجزيرة العربية في قلب كل مسلم حب، وحنين؛ فهي الأرض التي شعَّ منها نور الإسلام، وكانت الجزيرة العربية ومازالت وجهة للرحالة والمستكشفين على مرِّ العصور؛ لما فيها من اعتبارات، ومقومات، ونجد هي قلب الجزيرة جغرافيًّا، ومركز الحكم والحكومة، حيث العاصمة الرياض.

وقد سبق الحجازُ نجدًا بأن كان مقصدًا مهمًّا للرحالين، وقد صدرت عدة كتب تتحدث عن الأثر الكبير لهذا الإقليم على حركة النشر في باب الرحلات، والغالب يسميها بالرحلة الحجازية عطفًا على قدسية المكان[١].

وقد كانت الرحلات تقليدية إلى أن بدأ عهد الرحلات الدبلوماسية إلى البلاد العربية؛ لمحاولة ترتيب أوضاع المنطقة، في ظل التنافس الدولي لخلافة الإمبراطورية العثمانية.

وتتضح القيمة الأدبية للرحلات من جهة أن "كثيرًا مما أورده هؤلاء الرحالون في مذكراتهم يمكن أن يأخذ سبيله إلى عالم الأدب والخيال كأنموذج من أرق النماذج على الوصف الفني الحي"[٢]. كما تحفل العديد من كتب الرحلات بنصوص وثائقية أدبية ذات سمات جمالية من ناحية الأسلوب، والسرد القصصي، كما تمتاز بالذاتية مما يخولها أن تكون مجالًا للبحث والدراسة، مع ما فيها من المتعة، وما لها من الفوائد، ولأنها تعتمد على الوصف، وذكر مفاجآت الطريق، والاكتشافات، والعجائب؛ فهي خطاب تمثيلي لفعل السفر، والترحال، وهي ممارسة تحتم مفارقة ما هو مألوف لمعانقة المستغرب؛ مما يولد رغبة عند الرحالة في مساءلة الآخر، وذلك بالتركيز على تفاصيل الأطعمة، والأثاث، والهندام، وطقوس الاحتفالات، وهذا يجعل الرحالة ينتج قوالب تختزل الآخر وتنمطه، وهذا يعتمد على الملاحظة، والمعاينة المباشرة، وعلى المخزون الثقافي[٣].

ورحلة محمد شفيق مصطفى لنجد والحجاز عام ١٣٤٦ التي سماها (في قلب نجد والحجاز) وهي المدونة المعتمدة في هذه الدراسة تندرج تحت هذا الصنف[٤].

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

جاء اختيار النص لأسباب متعددة تبرز من خلالها أهميته، منها:

-أن هذا النص الذي يعدُّ وثيقة أدبيه تاريخيّة ترد إلى أدب الرحلات، وصف فيه محمد شفيق بالحس الصحفي المحايد مع النضج الفكري أجزاء من جغرافية شبه الجزيرة العربية، كما وصف الأوضاع السياسية، والأمنية، والدينية، والاجتماعية، وغيرها.

-أن هذه الرحلة هي الأولى في اكتشاف شمال الجزيرة العربية، بالإضافة إلى امتداد المساحة الجغرافية والمدة الزمانية للرحلة.

-جاء توقيت الرحلة للمملكة وهي في طور التأسيس والتوحيد والبناء، وفي مرحلة التشكيل العام.

-التركيز في الرحلة على شخصية الملك عبد العزيز، فأعطت تصورًا كاملًا عن شخصيته، من خلال صورة الشكل، والأقوال، والأفعال، والآراء، وأساليبه في إدارة الحكم.

-أن هذه المقالات تعطينا صورًا، عن حال تلك البدايات، ومن الجميل الاطلاع على هذه المآلات التي تنبأ بها شقيق بعد قرن من الزمان؛ مما يمنح مساحة أكبر للمقارنة.

وتُعنى الدراسة هنا بتحليل هذا النص المعبر الذي حُقق ولكنه لم يدرس، فكان هذا البحث عن رحلة جاءت في مرحلة التشكيل للدولة السعودية الثالثة تحليلًا أدبيًّا لنص

(١) ينظر: أحمد حنطور، *الرحلة إلى بلاد الحجاز في الأدب المصري الحديث – دراسة ونقد وموازنة* (القاهرة: مكتبة الأدب، ٢٠١٦)، ٢٢.

(٢) أحمد أبو سعد، *أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي – دراسة ومختارات* (١٩٦١)، ٦.

(٣) ينظر: سليمان حجاجي، *صورة السلطان مولاي عبد الله بعيون الأسير السويدي ماركوس بيرغ*، (*جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مركز دراسة الدكتوراه ٥*، ٢٠١٧)، ١٦٥.

(٤) ينظر: محمد شفيق مصطفى، *رحلة في قلب نجد والحجاز*، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢.

يمثّل جزءًا من الحالة التي تعكس الصورة لتلك الحقبة غير منبتة عن سياقها الفكري، والسياسي، والاجتماعي، مع بيان الدلالة؛ ومن هنا تظهر الإضافة العلمية.

وسوف يكون المنهج المتبع هو الاستقراء والتحليل الشامل لنص ثقافي عام يمثل الرؤية لتلك الحقبة، كما يمنح دلالات صادقة؛ نظرًا لأن شفيق كتب ما كتب بأريحية، دون تأثير رغبة، أو رهبة؛ لذا كانت كتاباته عفو الخاطر، فتجد فيها السلب، والإيجاب، والسخرية، والإعجاب.

أهداف البحث:

-إشهار هذه الرحلة التي تُعد وثيقة أدبية تاريخيّة صدرت من صوت محايد، وبحس صحفي دقيق الملاحظة في ظرف زمني حساس.

- الكشف عن الشخصية النجدية في مرحلة التأسيس من خلال صورة الأشكال، وصورة الأفعال.

- بيان الخلفية الثقافية، والاجتماعية لصاحب الرحلة، ومنطلق السمعة التي وصلته، وأثر ذلك على الانطباعات، وعلى عقد المقارنات.

-الكشف عن المعالم الشخصية للملك عبد العزيز؛ لأنه المثال على إدارة الحكم إبان التوحيد، والتأسيس.

الدراسات السابقة:

لم أجد بعد التقصي دراسة أدبية نقدية لتلك الرحلة، إنما وجدت تحقيقًا تاريخيًّا جغرافيًّا قام به د. محمد محمود خليل، صدر عن الدار العربية للموسوعات ببيروت عام١٤٣٠هـ، ويقع في (١٦٦)صفحة من القطع المتوسط، وذكر في مقدمته أن رحلة شفيق تكتسب أهمية؛ لأنها شملت شمال المملكة (قريات الملح، والجوف) تلك البقعة التي أهملت من قبل الرحالة العرب، بل من أهل الجزيرة العربية أنفسهم، فقد تأخرت الرحلة إليها حتى قام بذلك حمد الجاسر عام ١٣٩٠ الذي علل سبب التأخر بطغيان القبلية، وللطبيعة الجغرافية[٥].

وقد تناول المؤلف في التمهيد زمن الرحلة، ودافعها، وصفتها الدبلوماسية، والثقافية، والصحفية لصاحبها محمد شفيق، وأشار إلى أن مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة أعادت نشر المقالات، كما طبعت على هيئة كتاب عام ١٩٢٧ وعام ١٩٨٤، وكل ذلك من غير تحقيق ولا دراسة، وقد ذكر أن منهجه في التحقيق المقارنة بين نصوص المقالات في الصحف والكتب المنشورة، وقد التزم بالتعليق تاريخيًّا على النصوص المختصرة، كما استعان بالكتب والدراسات الحديثة عن التعليم، والأمن، كما دعم تحقيقه بإحدى وخمسين صورة أثرية ، وصحح بعض المسميات للقرى والمعالم، كما التزم بالترجمة للأعلام، والأماكن الواردة في الرحلة، وأفاض بالحديث عنها بالهامش [٦]. والحق أن هذا الجهد عمل ومنجز يحسب للمحقق، ويفتح المجال للدارسين، والباحثين.

أسئلة البحث:

أما أسئلة البحث فيمكن إجمالها فيما يأتي:

-من أين اكتسبت رحلة محمد شفيق أهميتها؟

-ما الباعث للرحلة؟ وما خلفية شفيق الفكرية ومنطلقاته الثقافية، والاجتماعية؟

-ما الشخصيات، والأفعال التي صورها؟ وكيف كانت طريقته في تصوير تلك الشخصيات والأفعال؟ وما دلالات تلك الصور؟

-كيف صدقت نبوءة شفيق عن المآل وهو يصف الحال؟

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد ومبحثين. اشتملت المقدمة على تعريف موجز بموضوع البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وأسئلة البحث. واشتمل التمهيد على تعريف موجز بأدب الرحلات، وعلى نبذة عن الرحلة وصاحبها، وعلى بيان لمفهوم الصورة، أما المبحثان فأولهما كان عن صورة الأشكال،

(٥) ينظر: حمد الجاسر، *في شمال غرب الجزيرة*، الرياض: دار اليمامة ، ١٩٧٠)، ٣.

(٦) ينظر: محمد محمود خليل، رحلة في قلب نجد والحجاز، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٠)

والآخر: عن صورة الأفعال، وجاءت النتائج والتوصيات في خاتمة البحث.

وقد وسَّعتُ دائرة المصطلح النجدي هنا ليشمل أجزاء من شمال الجزيرة العربية، ووسطها، وغربها تجوُّزًا، بغض النظر عن التحديدات الجغرافية الدقيقة التي اصطلح عليها المؤرخون، والجغرافيون؛ لأن تنقلات شفيق كانت ضمن المساحة الجغرافية المحكومة للملك عبد العزيز، وكلها قد دانت حينها له؛ فتشابهت إلى حد ما الشخصيات، والصفات، والثوابت، وتلك الأماكن هي نواة المملكة العربية السعودية قبيل إعلان تأسيسها.

التمهيد:

أولا: أدب الرحلات:

تعد الرحلات تاريخيًّا، ورغم تفاوت الصحة بالمعلومات الواردة فيها؛ نظرا لتأثرها بالمهمات الموكلة إلى الرحالة، أو بالاتجاه السياسي، أو الرؤية الأيدولوجية للكاتب؛ إلا أن دراستها تظل من الأعمال البحثية المهمة(٧).

وعندما يرتحل الأدباء فإنهم يعبرون عن تجربتهم، وهم ينقبون عن الجديد في أرض الأديان، والماضي العريق، مروين ظمأ نفوسهم، تاركين لأقلامهم التعبير عن انطباعاتهم، معتمدين على الرواية والوصف، مشكلين اللبنات الأساسية لأدب الرحلات العربي، كما يسجل أدب الرحلات معلومات قيمة عن فترات زمنية سابقة قد يغفلها التاريخ، هذه المعلومات تكون اكتشافات للغات مجهولة، أو لتراث شعبي غير مدون، أو عادات وتقاليد نادرة، والرحالة يدعمون ذلك بانطباعاتهم عن الشخصية سلبًا أو إيجابًا، حسب الرؤى الخاصة بهم(٨).

كما يعبر الرحالة عن تجربتهم، ويلتقطون الصور على نحو ما هي عليه، وهم ينغمسون في اكتشاف الآخر انغماسًا يسمح بوفرة من التفاصيل في اتصال مع الغريب والعجيب والمثير، ويسجلون انطباعاتهم عبر الرواية، والوصف، والملحوظات، والإبداع الفني، والأدبي الذي شكل أدب الرحلات العربي(٩).

أما أسلوب الرحلة، فإنه يتميز "بالانصراف عن اللهو والعبث اللفظي، والطلاء السطحي، والإيثار للتعبير السهل المستقيم الناضح بغنى التجربة، وصدق اللهجة الشخصية"(١٠). هذه السمات لأسلوب الرحلة يمنحه الواقعية؛ ومن ثم تكون الصورة أقرب للحقيقة من الخيال؛ ويترتب على ذلك أن يكون الاستنتاج سليمًا، وما يبنى عليه من الأحكام صحيحًا.

وتكمن القيمة العلمية لأدب الرحلات في احتواء معظمها على كثير من المعارف الجغرافية والتاريخية، وفيها تقارير وافية عن الأحوال الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعمرانية، وفيها ذكر للمعالم الأثرية ووصف الممالك والمدن(١١).

ثانيا: رحلة محمد شفيق مصطفى:

في عام ١٣٤٦ هـ كانت رحلة محمد شفيق مصطفى أفندي لنجد والحجاز، وشملت بهذا أجزاء من مملكة ابن سعود، ابتداء من قريات الملح، ثم الجوف، وحائل، مرورًا ببريدة، وصولًا إلى الرياض، وانتهت الرحلة في مكة وجدة، واستمرت شهرين وسبعة عشر يومًا، وبهذا يكون جلُّ الرحلة في نجد ومع النجديين، وما كتبه شفيق في مقالاته عن هذه الرحلة يصنف ضمن كتب الرحلات تعبيرًا وتوثيقًا عبر القص والحكي، مع الوعي الحضاري، والعمق الثقافي من حيث الرؤية، والباعث، والقصد، بالإضافة إلى توقيت الرحلة المتزامن مع مرحلة التشكيل لمملكة ابن سعود.

---

(٧) ينظر: *الدرعية*، (مجلة فصلية محكمة تعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية وتراث العرب، السنة الثانية، عدد. ٨، (شوال ١٤٢٠): ٨٥.

(٨) ينظر: عمرو منير، *أشهر الرحلات العربية من الأسطورة إلى الفضاء* (القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠١٠)، ٦.

(٩) ينظر: منير، *أشهر الرحلات العربية من الأسطورة إلى الفضاء*، ٥.

(١٠) أبو سعد، *أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي – دراسة ومختارات*، ٦.

(١١) ينظر أبو سعد، *أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي – دراسة ومختارات*، ٦.

ولكي يكون السياق التاريخيّ للرحلة في نصابه؛ يتبين أنه في عام ١٣٤٤ وصل المحمل المصري[١٢] تصحبه فرقة الموسيقى، والخيالة، والمدافع، وقامت الفرقة العسكرية بالاستعراض في أرض أجنبية، بل في المشاعر المقدسة، وقد أنكر علماء الحجاز ونجد ما يصاحب المحمل؛ بل إن من علماء الأزهر من أنكر تلك البدع، ونظرًا لتعامل حكومة الملك عبد العزيز مع الموقف؛ توالت الحملات الصحفية في مصر إثارة وإساءة، والملك عبد العزيز ملتزم جانب الصبر[١٣].

وفي صيف١٩٢٦ استقبلت مصر الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود ولي عهد نجد، وأثناء الزيارة التقى الأمير سعود بالنخب الفكرية، ودعاهم لزيارة الأراضي السعودية، ورحلة شفيق هي أول رحلة غير رسمية لوفد دبلوماسي صحفي مثقف لتحسين الأجواء بين البلدين، وقد نشر شفيق مقالاته عن تلك الرحلة عبر جريدة السياسية، ولقد لاقت مقالاته استحسان الشعب المصري؛ مما دفع شفيق لإخراج تلك المقالات في كتاب عام ١٩٢٧سماه (في قلب نجد والحجاز) طبع في مطبعة المنار في القاهرة،

ولعل إعجاب شفيق بمشاهداته، ولجميل انطباعه؛ أنشأ جريدة تحمل اسم (الرياض) بعد أن تعطلت جريدة السياسة عام ١٩٣٠عن الصدور[١٤].

وفي أدبنا المعاصر يمكن القول: إن معظم الرحلات كانت بدافع صحفي، والقائم بها قد يشبع هواية خاصة، وفي الوقت نفسه يؤدي واجبًا اجتماعيًّا، كما يحقق غاية أدبية[١٥].

ومحمد شفيق من الصحفيين المرموقين؛ لذا حظي من لدن جلالة الملك عبد العزيز برعاية كريمة، كما أنه التقى قبل ذلك بالملك سعود في مصر ضمن بعض المثقفين، كما أن لجريدة السياسية حضورًا قويًّا في المشهد الإعلامي، وأراد شفيق أن يتعرف على ذلك الملك الذي طارت شهرته في الآفاق.[١٦].

ويمثل محمد شفيق نخبة من الأعلام والمفكرين والصحفيين مثل: محمد حسين هيكل (١٣٠٥ - ١٣٧٦)، وإبراهيم عبد القادر المازني (١٣٠٧-١٣٦٨)، وغيرهما. وقد ارتحل محمد شفيق في وقت قلَّ فيه من يقصد نجدًا من الرحالة؛ نظرًا لبعدها عن المراكز الحضارية ،ونظرًا لطبيعة تضاريسها ، وطبيعة القبائل المتناحرة فيها ، ولأن الوسيلة الناقلة هي الإبل؛ فتعد رحلة شفيق مع هذه العوامل مغامرة؛ لأن المشقة تنال أبناء الجزيرة ، وهي على غيرهم أشد ؛ إذ تتوزع البحار الرملية في شبه الجزيرة العربية من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي [١٧].

ولكن شفيق رغم ذلك استطاع التوغل. يقول حمد الجاسر: "غير أن طبيعة البلاد في ذلك العهد، وطغيان النفوذ القبلي في أنحاء الجزيرة من الأسباب التي لا تمكن الباحث من التوغل في وسط الجزيرة "[١٨]

(١٢) والمحمل -حسب المشاهدة للمحمل الموجود بالمتحف الإنثوجرافي التابع للجمعية الجغرافية بالقاهرة - هيكل خشبي مجوف، يتشكل عن طريق عوارض أفقية رأسية ومائلة، الجزء العلوي منه على شكل هرم، وكساء المحمل من الحرير، ومزركش بخيوط مذهبة، ويرجح أنه صنع عام ١٢٩٢ في عهد الخديوي إسماعيل، ويسلك الحجاج المصريون للديار المقدسة طريقين هما: طريق عنداب، وطريق سيناء. والمحمل وتقاليده وما يلب به منذ عصر الدولة العباسية، وليس المحمل خاصًّا بمصر، بل هناك المحمل العراقي، والشامي، واليماني، والمغربي، وكلها يحيط بها العديد من الموروثات، والتقاليد، والمعتقدات الشعبية، والتجهيزات، والاحتفالات ذهابًا، وإيابًا. ينظر: إبراهيم حلمي، *المحمل* (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩٣)، ١٦.

(١٣) ينظر: أحمد عبد الغفور عطار، *صقر الجزيرة* (بيروت: مؤسسة عبد الحفيظ البساط، ١٣٩٩)، ٤: ٩٣٧.

(١٤) ينظر: خليل، *رحلة في قلب نجد والحجاز*،١.

(١٥) ينظر: منير، *أشهر الرحلات العربية من الأسطورة إلى الفضاء*، ١٤٩.

(١٦) ينظر: مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٥٦.

(١٧) ينظر: عبد الله الوليعي، *بحار الرمال في المملكة العربية السعودية* (١٤١٧)،٢١.

(١٨) الجاسر، *في شمال غرب الجزيرة*، ٢١.

وهكذا كان زمن الرحلة في وقت كانت فيه الجزيرة العربية بكرًا، حتى إن النعام والغزلان والحمار الوحشي قطعان تجوب صحاريها[١٩].

وقد زار شفيق نجدًا والحجاز وهو خالي الذهن يقول: "فلست أنكر أنني إلى ما قبل زيارة صاحب السمو الملكي الأمير سعود ولي عهد نجد والحجاز في صيف العام الماضي، أجهل كل شيء عن أحوال البلاد العربية التي ندين وإياها بدين الإسلام الحنيف"[٢٠].

وكان من الدواعي للرحلة ذلك التطور بعد خضوع الحجاز للملك عبد العزيز، يقول: "وحسبي أنه لم يكتب واحد من رحالة العرب والإفرنج في الطور الحاضر شيئًا يعتد به عنها."[٢١].

أما السبب المباشر فهوتلبية لدعوة الأمير سعود "وإن أنس لا أنس ما أبداه سمو الأمير سعود أثناء زيارته لمصر من هذه الرغبة السامية، ودعوته المفكرين لزيارة بلاده واستطلاع شؤونها "[٢٢].

وثمة دافع ذاتي لدى شفيق عبر عنه بقوله: "ولأنني منذ نعومة أظفاري أشعر بميل خاص إلى احتذاء أثر المستطلعين لأحوال الأمم والبلدان"[٢٣].

وقد أشعلت هذه الدواعي جذوة الاستطلاع لمعرفة ما كان يتناقله الرواة إلى سمعه عن فعال "جلالة الملك عبد العزيز سواء في تدبير شؤون بلاده من الوجهتين: الاجتماعية والسياسية، والأحاديث التي كانت تنشرها الصحف لجلالته"[٢٤].

تلك هي الدواعي، أما القصد فقد عبر عنه بقوله: "وحسبي أنني قصدتها لوجه العلم والاطلاع"[٢٥].

وقد رد نجاح الرحلة إلى الخلال الكريمة لزعماء القبائل في نجد، واستتباب الأمن، ورعاية جلالة الملك عبد العزيز له[٢٦].

ثم إن دقة الملاحظة مع طول فترة المكوث منحت شفيقًا التروي والتركيز؛ لأن طول المكث يمنح الرحالة الفرصة للكتابة عن كثب، جاء في مقدمة رحلة ابن جبير "إلى هنا كان ابن جبير قد أقام بمكة ستة شهور قمرية تقريبًا، وهذه الحقيقة وحدها؛ مما يؤكد لنا أن ما جاء بكتابه في وصف معالم مكة قد كتبت عن رويّة وتحقيق"[٢٧].

ومحمد شفيق في مقالاته لم يؤرخ لرحلته لا ابتداء، ولا انتهاء، إنما أشار للأشهر الثلاثة التي قضاها في نجد، والحجاز، دون تحديد للزمن؛ ذاك أنه يعتمد على نشر المقالات تباعًا في جريدة السياسة، ولعل مرور مئة عام على هذه الرحلة يمنح مقارنة مداها قرن من الزمان، تتضح فيه المفارقات، والبدايات، ومآلاتها.

ثالثا: الصورة الفنية:

الصورة الفنية ركن أساس في العمل الأدبي، وهي الضلع الرابع للعمل الأدبي النثري مع اللفظ، والمعنى، والعاطفة، وقد نالت الصورة عناية المبدعين والنقاد منذ القدم، ومن مفرداتها الصورة الجزئية، والكلية، والتمثيلية، والمركبة، ومن وسائلها: التشبيه والاستعارة، والمجاز، والكناية.

والصورة تعني أية هيئة تثيرها الكلمات بالذهن، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن، والصورة تكفل بث الحياة في المشهد، وتعدُّ الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة، وكشف الحالة النفسية للمتكلم، وتجسيد فكرته، وتوجيه مواقف القارئ[٢٨]. كما تعتمد على حسن الاختيار للفظ، والعبارة.

(١٩) ينظر: مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٧.

(٢٠) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٧.

(٢١) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٧.

(٢٢) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٨.

(٢٣) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٨.

(٢٤) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٨.

(٢٥) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٨.

(٢٦) ينظر: مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٨.

(٢٧) محمد زينهم، *رحلة ابن جبير* (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٢١)، ١٢.

(٢٨) ينظر عبد القادر الرباعي، *الصورة الفنية في النقد الشعري* (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٩)، ١٥, ١٥، ٥٨.

والتصوير في الاصطلاح الأدبي هو أن " ينقل الأديب إلى قارئة المشهد الذي يقع عليه بصره، فيصوره تصويرًا واقعيًّا، ويبرزه في تشخيص معبر"[٢٩].

والوصف يقتضي تعداد الظواهر البارزة للشيء كما تدركه الحواس، فيذكر الكاتب أشكال الأشياء وألوانها وحركاتها وأصواتها[٣٠].

وكثيرًا ما تتضافر العاطفة والخيال في إمداد الشاعر بالصورة، ولأن الفتور يعتري العاطفة؛ فإن الخيال يمنحها التوهج من جديد[٣١].

والصورة تمثل الواقع من خلال اللغة، كما ترسم أبعاد الشخصية جسمًا، ووجهًا؛ مما يُسهم في إشراك القارئ في استحضار الشكل العام. وإذا زاد الأديب في وصف الحركة؛ فإنه يمنح الصورة بعدًا حركيًّا يبث الحياة فيها، والصورة في أدب الرحلة تبتعد غالبًا عن الخيال المجنح، مع مراعاة الدقة في التصوير، والدقة في التشبيه حتى تُقرب الصورة المنظر الواقعي؛ لذا تشكل الصورة حضورًا قويًّا في أدب الرحلة؛ نظرًا لبعده النثري.

المبحث الأول: صورة الأشكال

إن أدب الرحلات يعتمد على الوصف المصور لكل ما يلفت نظر الرحّالة، فيتحول المشهد إلى أحاديث يدونها الرحّالة، وشفيق ممن امتاز بالوصف القصصي المعبر، وكان مهتمًا بتصوير الشخصيات النجدية باختلافها ومنها: الرجل النجدي من البادية والحاضرة، والمرأة النجدية، وأفرد للملك عبد العزيز والأمراء مساحة أكبر.

أما عن طريقة السرد، فإنه قد اعتمد في تقديم الشخصيات على المتكلم نفسه، وتلك الطريقة هي المتبعة في نصوص الرحلات، وقد امتاز أسلوبه في بعض المواضع بنوع من القصّ والحكي، وهو أسلوب مناسب؛ لأن "القصّ وسيلة من وسائل التقريب داخل الرحلة يعمل على تشخيص المشاهد، والصور، والأحوال المرئية المتعلقة بالآخر المختلف"[٣٢].

وحين يصف المظهر الخارجي للشخصية النجدية مثل: الجسم، واللون، والتقاسيم، والملامح، وكذلك اللباس، يردف حسب الشخصية بذكر الصفات المعنوية والنفسية. وقد جاءت صورة النجدي وهيئته في النص على صور مختلفة تتصل وتنفصل حسب السياق، وتباين في الانطباع بين السلب والإيجاب على النحو الآتي:

أولا: صورة الملك عبد العزيز:

حظيت شخصية جلالة الملك عبد العزيز-رحمه الله- بكثير من العناية عند شفيق من ناحية صورة الشكل ومن حيث الأفعال، فقد وصف شفيق الملك للقارئ وصفًا حسيًّا جسديًّا في وقت عزَّ فيه -إلى حد ما- انتشار الصور الفوتوغرافية، ويبدو أن شفيقًا قد حدّق كثيرًا في ملامح جلالة الملك، كما يبدو أنه تلبث كثيرًا فصاغ عباراته على مكث، وهو يصف الملك، فقال: "وأما جلالة الملك عبد العزيز بن سعود فطويل القامة، ممتلئ الجسم، نحاسي اللون، براق العينين، سمح المحيا، يضع على عينه نظارة"[٣٣]. ولعل اللون النحاسي أو القمحي المتحول عن الأبيض، أو الأصفر ألصق، بل أليق برجال الصحراء، والملك عبد العزيز من أولئك الذين عاشوا فيها، ولا عجب أن تعكس الشمس ألوانها على صفحات وجوههم. واللون النحاسي يمثل الإشراق، والحياة، والحيوية مثل اللون الأصفر[٣٤].

---

(٢٩) جبور عبد النور، *المعجم الأدبي*، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤)، ٦٩.

(٣٠) ينظر علي بو ملحم، *في الأسلوب الأدبي*، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٨)، ٢٦.

(٣١) ينظر: بشرى صالح موسى، *الصورة الشعرية في النقد الأدبي في النقد العربي الحديث*، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤)، ٦٤.

(٣٢) بوشعيب الساوري، *الرحلة والنسق – دراسة في إنتاج النص الرحلي* (بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠١٧)، ٢٢٣.

(٣٣) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣١.

(٣٤) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣١.

إلا أن اللون النحاسي يعني بالإضافة إلى ذلك الفروسية والكفاح، كما يعني البعد عن الترف.

وهكذا حددت الصورة بإطارها معالم الوجه والجسم وأبانت أن الملك طويل من غير نحافة، والعيون براقة خلف النظارة، ونفهم مقدار البريق من صيغة المبالغة (براق) وكل هذا المنظر يمازجه سماحة تطغى على المحيا، هذه الملامح الظاهريّة تأملها شفيق واستنتج صفات معنوية قائلًا: " تبدو عليه مخايل الذكاء المفرط، وقوة الإرادة، وشدة العزم، مع سماحة الخلق، وأنات وتدبر في كل ما يخرج من فمه من كلام"(٣٥).

ويلحظ دقة التعبير في قوله: "من فمه من كلام" بمعنى أنه يحسب الحساب لكل مفردة. ثم يواصل شفيق حديثة الدال على طول تأمل في جسم الملك عبد العزيز، حتى إنه لاحظ أثر رصاصة في إبهامه الأيسر(٣٦).

ثم يتابع واصفًا مشية الملك ولباسه: "ومن عادته إذا سار، خفض رأسه نحو الأرض، ويلبس عباءة نجدية مزخرفه بالذهب، كثيرًا ما يرفع جزءًا منها تحت إبطه الأيسر أثناء سيره"(٣٧).

إذن أفهمنا شفيق أن شخصية الملك عبد العزيز-رحمه الله- متعددة الصفات الجبلية المطبوعة والمكتسبة، وتظهر الثنائيات الضدية عندما يصف تلك الهيبة والقوة، وفي المقابل البساطة وعدم البهرجة مع الرقة والرحمة.

لقد تحدث شفيق في مواضع كثيرة عن شخصية الملك المؤسس وأفعاله؛ لأنها شخصية محورية، وقد مكث شفيق في الرياض ثلاثين يومًا يرى الملك ويلتقيه.

إن هذه الصفات لشخصية الملك ليست صفات ذاتية فحسب، بل إنها انعكست على الواقع النجدي حيال الملك ومملكته، فأنتجت نموذجًا مثاليًا جعلت شفيقًا يتنبأ بأن هذا النموذج الذي يبدو على غير مثال -بحكم البيئة والحقبة التاريخية والتركيبة القبلية وبحكم حدة الصراع، سيكون له مستقبل قوي وجميل ومؤثر، ثم إن ذلك الانعكاس تمثل بأفعال وممارسات وردات فعل نتائجها إيجابية.

ثانيا: صورة الأشكال لبقية الأمراء:

مع كثرة ما كتبه شفيق عن الملك عبد العزيز-رحمه الله- إلا أنه لم يغفل عن بقية الأمراء من الأسرة المالكة، فقد وقف عند عدد من الشخصيات وأفرد لها أحاديث؛ حيث كانت الصورة النجدية القيادية حاضرة في ذهنه، مع إلمام الكاتب بطبيعة الصراع والمرحلة، وأراد أن يتعرف على أولئك المقاتلين، وكيف هم مع قائدهم، ويمكن عرض نماذج لتلك الشخصيات كما يأتي:

١-الإمام عبد الرحمن الفيصل:

إن الذكاء والبديهة والحنكة السياسية صفات يعرفها شقيق من خلال صورة الأشكال حيث الملامح، والتقاسيم، والعيون، ثم الأقوال فيذكرها شفيق حين الحديث عن الملك والأمراء؛ لذا نراه يتحدث عن الإمام عبد الرحمن الفيصل فيقول: "وهو رغم أنه في العقد التاسع من عمره على جانب عظيم من الذكاء، وسرعة البديهة، ورقة الجانب، فضلًا عن كونه محبوبًا من سائر أهل نجد"(٣٨).

والملاحظ انتباه شفيق للمتضادات التي يمتاز بها الإمام، والملك، والأمراء، إذ يجتمع لهم القوة، مع اللطافة ورقة الجانب، ويتمتعون بالذكاء، وسرعة البديهة، والمناجزة مع الحلم، ودماثة الخلق.

٢-الأمير فيصل بن عبد العزيز:

يتحدث شفيق عن أمير نجدي شاب يدير نيابة عن والده شؤون الحجاز، وقد نعته بصفات منها الذكاء وعذوبة الحديث، هذه الصفات كفلت إحكام القبضة على إقليم الحجاز، كما كفلت اجتماع القلوب يقول شفيق:" فشاهدنا فيه أميرًا حلو الشمائل، عذب الحديث، ذكي الفؤاد "(٣٩).

(٣٥) ينظر: أحمد مختار عمر، *اللغة واللون*، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧)، ٨٤.

(٣٦) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣١.

(٣٧) مصطفى، *رحلة في قلب نجد والحجاز*، ٣١.

(٣٨) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٥.

(٣٩) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٤٨.

ويقول عنه في موضع آخر: "فقد أظهر الأمير الصغير حكمة الشيوخ ولباقة الحكماء، فجمع القلوب حوله"(٤٠). ويلحظ تركيز شفيق على الصفات المؤهلة للزعامة.

ثم يذكر شفيق الانطباع الذي تركه الملك فيصل عندما زار عواصم أوروبا، فنشر بذلك "دعاية العرب بين أمم الغرب من طريق غير مباشر"(٤١).

ويبدو أن شفيقًا في هذه النعوت التي استنطقها من الصورة وأكدها أراد أن يعلل لهذا المنجز المتمثل في توحيد البلاد واستتباب الأمن والتعامل مع الأحداث الداخلية والمحيطة، بأن مرده بعد فضل الله لتلك الصفات.

٣-أمير حائل عبد العزيز بن مساعد:

يقول شفيق عن ذاك الأمير: "وهذا الأمير يخيل للرائي لأول نظرة أنه على شيء من العجرفة والكبرياء، ولكنه في الواقع على جانب كبير من رقة الشمائل، ومكارم الأخلاق"(٤٢).

ولعل شفيقًا أراد بهذه الثنائيات الضدية أن الأمير يلبس لكل حالة لبوسها، وأن الحكمة تقتضي وضع الشيء في موضعه على حد قول المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مُضِرٌّ كوضع السيف في موضع الندى(٤٣).

وشفيق يردف وصفه السابق لشخصية الأمير ابن مساعد بقوله: "ومما يستحق الذكر أنه معروف بالشدة والبطش، إذا خالف أحد أحكام الشرع أو أخلَّ بالنظام)(٤٤).

لقد كان الأمن هو الخيار الأول عند الملك عبد العزيز- رحمه الله- خاصة بعد حالة الفوضى والصراع في شبه الجزيرة العربية قبل تأسيس المملكة؛ لذا أصدر بيانًا في جدة عام ١٣٤٤، جاء فيه: "إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون"(٤٥). لذا كان الأمر يقتضي حزم الأمراء في مناطقهم، كما أن شفيقًا -كذلك- جعله من الأوليات فركز على الجانب الأمني؛ لأنه أراد أن يوكّد للقارئ العربي الحالة الحالية لشبه الجزيرة العربية؛ لذا قال: "ومما يستحق الذكر"؛ من هنا يكون شفيق قد عرض لهذه الشخصية من ناحيتين: إحداهما: أن الانطباع الأول لمن يلتقي بالأمير لأول مرة يعتريه لأول وهلة شعور بأنه متكبر متعجرف، لكنه على قدر من اللطافة واللباقة، مع بساطة في المظهر العام.

ثالثا: صورة الأشكال لعامة للنجديين:

برزت الصورة الشكلية أو الجسمانية، وكذا اللباس لعامة النجديين على هيئات متنوعة، كما يأتي:

١- إطالة اللحية:

إذ يذكر شفيق أن طول رحلته أسهم في طول لحيته؛ مما جعلها تتماهى مع الشائع في نجد، فقال: "وهذا أمر محتوم على كل مسلم يدخل أرض نجد"(٤٦).

وكأن هذه الصورة تؤكد على وجود اللحية مع طول فيها، وأن هذا المنظر أمر محسوم عرفًا أو عادة أو دينًا أو هي كلها مجتمعات؛ حتى شاع هذا المنظر فلا يتخيل صورة النجدي في تلك الحقبة دون لحية.

٢- خشونة الملبس:

يذكر شفيق أن النجدي "قلما يخلع ثيابه إلا وهي أطمار بالية، وأسمال لم يمسها الماء"(٤٧). وهذا بالطبع مرده إلى ندرة اللباس، وقلة الماء، وطبيعة الصحراء.

ولعل في عطف الأسمال على الأطمار تأكيدًا على صورة الشكل، كما يدل على أن القاموس اللغوي غني عند شفيق، ومن لازم هذه الصورة أن مستوى النظافة متدنٍ، حتى إن أكثر سكان البادية "لا يغسلون أيديهم حتى بعد تناول طعامهم"(٤٨). وهذا بالطبع لقلة الماء، ولأن طعامهم عادة من

---

(٤٠) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٥١.

(٤١) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٥١.

(٤٢) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٢.

(٤٣) أبو الطيب المتنبي، *ديوان المتنبي*. تح. عبد الرحمن المصطاوي، الطبعة الخامسة (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٩)، ٢٨٥.

(٤٤) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٢.

(٤٥) *جريدة أم القرى*، عدد: ٥٤، ٨ جمادى الثانية، ١٣٤٤.

(٤٦) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٣.

(٤٧) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٤.

(٤٨) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٤.

التمر، والإقط، وقد أشار إلى عدم توفر الصابون إلا بصعوبة، ومثله عدم توفر أدوات الحلاقة؛ مما اضطرّهم إلى استعمال الموس لحلاقة رأسه هروبًا من أذى الحشرات اللاذعة: "على أن رأسي لم تعدم موسًا من هاتيك المواسي النجدية التي كانت عجائزنا في سالف الزمان يحلقن بها الملوخية "[٤٩]. وهذا التشبيه لموس الحلاقة بسكاكين الملوخية فيه دلالة على أن آلة الحلاقة المستعملة في نجد غير مناسبة للاستعمال البشري؛ نظرًا لعدم حدتها وجدتها ونظافتها، حتى أشبهت سكينًا أعدت في مصر للفلاحة والمطبخ، في تشبيه ربط فيه شفيق بين المتباعدات.

وهكذا لا تخلو تعليقات شفيق من نغمة السخرية، عندما تخالف الصورة ما كان يعهده؛ فينطلق بعفوية، أو لأنه لا تُمارس عليه إملاءات. ثم إن مايجري على لسانه من الإعجاب والإشادة هو الأعم الأغلب، وهذا التنوع للصورة حسب ظرفها الزماني والمكاني، وهي غالبًا صور ساكنة؛ حيث يصف دون تركيب للصورة، ولا تمثيل ولا تخييل.

أما السخرية، فتكون عندما يكون الحديث عن شخصية عامة، أما إذا كان الحديث عن شخصيات اعتبارية مثل الملك عبد العزيز-رحمه الله-؛ فإنه يكون رزينًا حذرًا لا يخرج عن أطر اللباقة، ويظهر أن هذا منه من غير تكلف، وكان بإمكانه أن يتخفف من ذلك الأدب؛ نظرًا لانتفاء الوصاية عليه، لكن الحياد والإنصاف أمليا عليه الصدق، والوضوح.

وهكذا تتماهى المعالم الأدبية مع الأفكار، ويكون تعبير الرحال عنها متعددًا ومتنوعًا حسب الموقع والدافع والهدف [٥٠].

٣ - صحة الأبدان:

ومع ذلك التصوير لتلك الصفات إلا أن شفيقًا أشاد بصحة الأبدان التي يمتاز بها أهل الجوف، حتى لا يكادون يشكون مرضًا رغم شدة فقرهم، يقول: "وهم لا يذكرون علة على شفاههم، والسر في ذلك جودة مناخ الجوف، وطيب مائها، وخصوبة أرضها"[٥١].

وهنا يصف شفيق المنظر بأنه لم يسمع أحدا منهم يتشكى، ثم ردّ ذلك إلى طبيعة الجوف، وتلك الصحة أكدها شفيق لأهل حائل: "يدلك على ذلك اعتدال صحة سكانها، وامتلاء أجسامهم، وانقطاع الأمراض بينهم"[٥٢].

إن هذه الصحة التي أكّدها شفيق جعلت النجديين يتمتعون بحدة الحواس، وهذا الأمر مما لفت نظر شفيق، يقول معللًا سماع النجديين لأشخاص يتحدثون عن بعد نصف يوم على ظهور الإبل، فيقول:" ولعل ذلك يرجع إلى شدة حاسة السمع والبصر عندهم، وصفاء أذهانهم"[٥٣].

ويرد هذا الانتباه لمثل هذه الصفات والصور إلى ما يتمتع به شفيق من دقة الملاحظة، وتتضح تلك الدقة من خلال تذوقه لثمار النخيل في الجوف، ويفضلها عن غيرها "ويكثر فيها النخيل الذي يؤتي ثمرًا ممتازًا على سواه، بلذة طعمه وسرعة هضمه"[٥٤].

وتمتد دقة الملاحظة عنده إلى المشروب، وذلك حين ينعت ماء عين في حائل قائلًا: "وفيها عين ماء عذبة شافية من العلل يسمونها ماء (السماح) لا تقل عن مياه (فيشي) المعدنية الشهيرة، فهي تذيب الأملاح، وتشفي أمراض الكلى بسرعة، وتنقي الدم، وتساعد على الهضم بصورة مدهشة"[٥٥].

وهو عندما يقارن بين الماء في عين حائل، وبين مياه (فيشي) الفرنسية المعدنية، فإنه يقارن بين ماء يمتح بالدلاء، وبين ماء يجلب من جبال يذوب جليدها، ثم تعبأ لتصل إلى مصر في قوارير زجاجية تشف عن ماء نقي، وهذا يدل على أنه مع أنه مترف تحمل مشقة السفر على ظهور الإبل؛ لأنه شغوف بالمعرفة كما تتضح بذلك الفجوة الحضارية حينذاك بين مصر والـجزيرة العربية.

---

(٤٩) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٣.

(٥٠) ينظر: طيب بو قراط، *رحلة في قلب نجد والحجاز*، (الأردن: دار غيداء، ٢٠١٧)، ١٧.

(٥١) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٨.

(٥٢) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٢.

(٥٣) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٩.

(٥٤) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٧.

(٥٥) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٢.

وهكذا اعتمد شفيق في صورة الأشكال على رسم الشخصية من الخارج من خلال أبعاد الجسم وملامح الوجه، واللون، واللباس؛ مما يمنح بعدًا فيزيائيًّا حين تحديد الملامح والصفات الخارجية لشكل الشخصية، من ناحية الطول أو القصر، والوسامة أو الدمامة[٥٦].

ولأن صورة النجدي ليست كما عهدها شفيق في بلده المدني؛ صار يعيش لحظات الانبهار وهو يتأمل الأشكال للمرة الأولى، كما يتملكه الاستغراب لمخالفة المعهود، وبالتالي تحضر الصورة الأخرى في المقابل.

ولأن شفيقًا يصف حالًا عاهد نفسه على نقله كما هو؛ فإنه لم يجنح للخيال، ولا لتكثيف الصورة، إنما قدمها على هيئتها بشكل يجعل الصورة مشابهة للأصل نظرًا لتعذر المطابقة، ولأنه ينقل مشاهدات متنوعة لم ينصرف لجزئيات الصورة.

وصورة النجدي عند شفيق أعطت تصورًا واضحًا، وإن لم يتضح أنها كانت هي الغاية في عمله، ولكن لأنه يسمع عن تلك الشخصيات؛ جعله يعجب بها وهي تقود تحولًا قويًّا؛ مما حمله على الرحلة في وقت عدمت فيه الوسيلة الإعلامية، -أو تكاد- لتنقل الصورة عبر الصحيفة، أو التلفاز، وهذا مما حفز محمد شفيق الصحفي إلى السفر لإشباع رغبة الاستطلاع، والسبق الصحفي لديه، وهو يعلم ابتداء أن تلك الشخصيات ليست دخيلة على مجتمعها؛ لذا فإن صورها منتزعة من المجتمع ذاته، فنقل شفيق لنا تلك الصور، ثم وصف لنا ماذا توحي به.

المبحث الثاني: صورة الأفعال

عرض شفيق عددًا من صور الأفعال التي يمارسها النجديون عادة أو عبادة، وتتمثل بالبعد عن الشرك، والفقه في الدين، وصلة الرحم، والولاء للملك، وعدم الخوض في شأن السياسة ، مع تبجيل الملك، والبساطة في مخاطبته، واستتباب الأمن، والحرص على الصلوات، ، والحشمة عند النساء، وإكرام الضيوف، وأداء الأمانة، والبساطة في الأعراس، وأنواع الأكل، وطرق تناوله ،واللهجات، وطريقة الأداء في المواعظ ، ثم قابلية النجدي للتطور. وقد عبر عن ذلك كله من خلال فكره ، ويمكن تقسيم تلك الأفعال إلى ما يكون موقفه حيالها إيجابيًّا، فيصفها بروح الإعجاب ، وأفعال ينكرها ؛ فتكون مجالًا للسخرية ، ويمكن عرض تلك الصور للأفعال حسب ما يأتي:

١- البعد عن الشرك:

وهذا ما أكده الملك عبد العزيز-رحمه الله- لشفيق فنقله قائلًا: "وهم مرتبطون جميعًا بكلمة التوحيد، وعلى هذا الأساس يقوم ملكنا ولله الحمد"[٥٧].

ويردف ناقلًا عن الملك عبد العزيز قوله: "فوالله وبالله لو أعطينا ممالك الأرض طرًا وأحسسنا أن بعضها شرك، لبعدنا عنها بعد السماء عن الأرض"[٥٨].

ومن مظاهر البعد عن الشرك عدم وجود الأضرحة، يقول شفيق: "وأما عقائدهم الدينية فهم -كما أسلفنا- اتباعهم تعاليم السنة النبوية، فلا يقيمون المآتم لموتاهم، ولا يشيدون القباب والأضرحة"[٥٩].

وهذا خلاف ما عهده شفيق، وكأنه يقارن بين البلدين بذكر أحدهما دون الآخر ركونا إلى فطنة القارئ.

٢- اليقين:

استنتج شفيق صورة الثقة المرتبطة بصحة المنهج؛ وبالتالي اليقين في تصرفات النجدي وهو في معركته لتوحيد البلاد، هذه العقيدة جعلت المجاهد النجدي يحمل أكفانه واضعًا روحه في راحته، يقول شفيق:" فترى البدوي وهو في سبيل الجهاد يحمل أكفانه وهو ممتلئ يقينًا وإيمانًا بصحة عقيدته"[٦٠].

وهذا يعني أن شفيقًا منبهر بهذه الشخصيات التي بها انتهى عهد الفروسية في الجزيرة العربية، يقول الزركلي - في

(٥٦) ينظر عبد القادر أبو شريفة، *مدخل إلى تحليل النص الأدبي*، بيروت: دار الفكر العربي، ٢٠٠٨)، ٢٣.

(٥٧) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣١.

(٥٨) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٢.

(٥٩) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٨.

(٦٠) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٨.

ترجمته للملك عبد العزيز: "... شجاعًا بطلًا، انتهى به عهد الفروسية في الجزيرة العربية"[٦١].

لهذا راح شفيق بعيدًا يتأمل ويبحث عن السبب وراء ذلك؛ فألفاه إيمانًا، ويقينًا كامنًا في نفوس أولئك النجديين.

٣- الفقه في الدين:

النجديون لهم معرفة بكليات الدين، فيعرفون أحكام الشريعة خاصة كما يذكر شفيق الحبَّان (الأخوان) في حائل الذين يعرفون بعمائمهم الكبيرة التي يضعونها فوق كوفية حمراء يسمونها (الغطرة)[٦٢].

ويريد شفيق (الغترة)، يقول: "ولكنهم الآن باتوا على معرفة كبيرة بأصول الإسلام"[٦٣].

هذه المعرفة بالشريعة حملت أهل بريدة -مثلًا- على عدم المجاهرة بشرب الدخان، يقول شفيق: " كما أني لاحظت بعضهم يدخن سرًا "[٦٤].

ولعل فقه النجديين يعني معرفة ما يلزم معرفته من الدين بالضرورة، بل ويتعدون ذلك إلى ما هو أخص مثل عدم أكل البصل نيئًا قبل الصلاة، يقول شفيق: "ومن عوائدهم لا يتناولون البصل نيئا، وحجتهم في ذلك عدم مضايقة المصلين برائحته"[٦٥].

وكأن شفيقًا لم يسمع بحديث -: " من أكل الثوم أو البصل من جوع أو غيره فلا يقربن مسجدنا"[٦٦].

٤- صلة الرحم:

لقد فطن شفيق إلى الروابط الأسرية التي يتمتع بها النجديون، وضرب لذلك مثلًا بالملك الذي ربما يعذر لو قصر في هذا الجانب؛ نظرًا لتصديه للحكم وإدارة شؤون الدولة، ومع ذلك فإن صلة الرحم مظهر عام يظهره ملك النجديين وقدوتهم، حيث رتب زيارة يومية -رغم الصوارف - "وقت الضحى لوالده الإمام عبد الرحمن الفيصل، ثم لأخته نورة"[٦٧].

٥- انصراف العامة عن شأن السياسة:

يذكر شفيق عن البدو في نجد أنهم يتميزون بفطنة وانتباه إلى ما يصدر منهم، فلا يجعلون الحديث عن رجال الدولة وسياساتهم مجالًا للتسلية كما يفعل أبناء الأمم الشرقية[٦٨].

إنما يقتصرون على ترديد هذه العبارة "الملك لله ثم لعبد العزيز بن سعود"[٦٩].

ويمكن تخريج هذه الثنائية الضدية بين البساطة وبين الفطنة من جهة أن الحديث في شؤون السياسة عند شفيق نوع من الوعي ، وانصراف النجدي عن ذلك نوع من الغفلة، والحق أنهم على قدر من اليقظة، فلا تند منهم كلمة تنال من الملك أو سياسته، وهذا يعني الولاء ، وتحقيق لوازم البيعة ،وقد عرض شفيق لمشهد الجموع في الرياض إبان إعلان المناداة بجلالة الملك عبد العزيز ملكًا على نجد، والحجاز، ونقل مشاهد الحب والولاء فقال:" غصت الرياض بوفود من أطراف البلاد للترحيب بمقدمه، وكانت مناظر ساحرة يبديها أولئك الوافدون من مظاهر التأهيل والاغتباط "[٧٠].

٦ - استتباب الأمن العام:

ينقل شفيق مشهدًا للملك عبد العزيز-رحمه الله- وهو يمشي في الأماكن العامة "وهو محبوب لشعبه، لا يتوجس خيفة شر من أحد، فلا يهتم كثيرًا بملازمة الحرس إياه"[٧١]. وهنا يستنتج شفيق من صورة الفعل الخالي من الحرس عدم الخوف، هذا التعليل جاء بعد حكمه (وهو محبوب لشعبه) وهذا الأسلوب أقصد الحكم، ثم التعليل يستخدمه شفيق في نصه كثيرًا.

---

(٦١) خير الدين الزركلي، *الأعلام* (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠)، ٤: ٢٠.

(٦٢) ينظر: مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٢.

(٦٣) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٣.

(٦٤) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٦.

(٦٥) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٩.

(٦٦) محمد البخاري، *صحيح البخاري* (القاهرة: من إصدارات وزارة الأوقاف المصرية، ١٤٢٨)، ٢: ١٤٦.

(٦٧) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٥.

(٦٨) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٥.

(٦٩) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٥.

(٧٠) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٣.

(٧١) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣١.

إن هذا الأمن في الرياض قد امتد إلى كل الديار التي تخضع لحكم الملك، فمثلًا يذكر شفيق حين زار سجن حائل أنه لم يجد إلا حراسه، وخشبته التي تتدلى منها سلاسل حديدية، وعلل خلو السجن بقوله: "ذلك لأن الأحكام الشرعية وحدها خير وازع تقطع خط الرجعة دون الجرائم"(٧٢).

كما ذكر شفيق أن ناقة من القافلة التي تقدمتهم فقدت ليلًا، فبحث بعض الرجال عنها فلم يجدها، وفي الأثناء جاء بدوي وأخبرهم بأنه رأى ناقة في طريقه، فإذا بها هي، ولكنه لم يقتدها خوفًا من اتهامه بالسرقة، وقد علق شفيق على ذلك قائلًا: "فاستخلصت من ذلك ما أيد لي أمانة القوم، وانعدام حوادث السرقة انعدامًا باتًّا في قلب نجد"(٧٣).

ولعل في قوله (ما أيد لي) أنه كان غير جازم باستتباب الأمن لدرجة انعدام السرقة تمامًا، وهذا لأن الخلفية الذهنية عنده غير ما يراه، كما ذكر شفيق قصة تؤكد وتشي بصرامة غير معهودة من قبل الأمير عبد الله بن عقيل أمير الجوف، الذي أمر بجلد رجل خمسين عصا؛ لأنه في طريقه الصحراوي وجد كيس قهوة فجسه بعصاه، فسأل شفيق الأمير عن ضربه للرجل وهو لم يأخذ الكيس، فأجابه:" كان يجب أن يرى الكيس ولا يلمسه حتى يأتيه صاحبه ويأخذه"(٧٤).

إن سرد هذه القصة بصورة موجزة تدل على أن شفيقًا كان يلتقي بالأمراء، كما يلتقي بالعامة، كما تدل على أنه كان يجيد الإصغاء رغم تباين اللهجات؛ وهذا لأنه مكث زمنًا طويلًا، ولأنه اتخذ قافلة من الإبل، والرفقة من أهل الجزيرة يقطع معهم المفازات بالأحاديث، والمسامرة؛ مما خلق الارتياح؛ لذا لم تحجب عنه معلومة؛ فجاءت صوره مطابقة للواقع.

٧ - أمن الحجاج:

إن تأمين الحجاج مما ذكره شفيق وأكّده في أكثر من موضع، يقول: "ولعل للأحكام الشرعية التي هي أساس قيادة الشعبين الأثر الفعال في قطع دابر حوادث السلب والنهب ... كما كان يحدث قبلُ في بلاد الحجاز، وتأمين حجاج بيت الله الحرام من هذه الناحية"(٧٥).

وحين يذكر الأمن في أكثر من موضع؛ فإن ذلك بسبب ما استقر في ذهنه وفي أذهان الشعوب الإسلامية عامة فقد ذكر د. عبد الوهاب عزام ما يلقاه الحاج من الخوف على نفسه، عندما نقل عن رفعت باشا أنه زار غار حراء سنة ١٣١٨ومعه مئة جندي يحملون سلاحهم؛ للدفاع عن أنفسهم، ثم ذكر عندما حج عام ١٣٥٦ كيف استتب الأمن استتبابًا تامًّا(٧٦).

ومما يؤكد هذا محمد أبو النجا في مقالة له نشرت عام ١٣٧١ حين قال: " كنت أسمع وأنا صغير أن المتوجه لحج بيت الله وروضة رسوله يعد أكفانه بين طيات زاده، ويترك وصيته، ويودع الأهل والصحاب؛ خشية عدم رجوعه"(٧٧).

إن ما تتعرض له قوافل الحجاج، شغل -قبل الحكم السعودي- حيزًا عند المسلمين؛ لذا ركزشفيق على هذا التحول، وكأنه يبشر بأن الطريق إلى المشاعر المقدسة سالكة.

ويتعجب شفيق من حكمة الملك في إحكام الأمر "مع أن البدو أناس لا يخضعون لحكم أو سلطان"(٧٨).

ويعلل ذلك بقوله: "فمن البديهي أن دهاء هذا الملك ومقدرته على استمالة النفوس التي تأصل فيها الشر والفوضى منذ عدة قرون؛ كانت هي العامل الفعال لاستقرار حكم الشرع بين تلك القبائل"(٧٩).

وحين يركز شفيق على أن الملك محبوب جاء لتأكيد تلك الثنائية الضدية؛ لأنه قد يتحقق الأمن في الأنظمة المستبدة دون محبة الشعوب لأولئك الحكام.

---

(٧٢) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٢.

(٧٣) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٤.

(٧٤) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٨.

(٧٥) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٢.

(٧٦) ينظر: عبد الوهاب عزام، *رحلات عبد الوهاب عزام* (القاهرة: شركة نوابغ الفكر،٢٠١٦)، ٥ -٧.

(٧٧) *المحيط (للتأريخ)*، كتاب إعلامي توثيقي لبدايات المملكة العربية السعودية، (الرياض: إصدار نبراس للإعلام والعلاقات، ١٤٠٧)، ٤٧.

(٧٨) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٢.

(٧٩) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٢.

ثم إن الأمن للحجاج تبعه تطور آخر في مكة يقول شفيق: "على أنها في الأثناء الأخيرة، وبعد أن حكمها الوهابيون؛ قد تطورت"(٨٠).

من ذلك أن الحكومة شرعت "في استجلاب المرشحات للمياه، وتوسيع بعض الشوارع، وإضاءتها؛ كل ذلك يحمل على الاعتقاد بحسن الحال في مستقبل الأيام"(٨١). وهذه دعوة أخرى للحج.

كما تم إصلاح المطوفين الذين يتلقفون الحجاج ويبتزونهم ويلقنونهم أدعية خرافية يتكسبون بها من الحجاج"(٨٢).

بحيث إن "أقل شكاة يرفعها أحد الحجاج ضد أحدهم تكون كافية لإبعاده عن حظيرة المطوفين"(٨٣).

إن بسط النفوذ السعودي والدقة في تأمين الحجاج، رغم بعد المسافة عن الرياض، ورغم ضعف وسائل المواصلات والاتصالات جعل شفيقًا يركز على تلك الإجراءات.

٨- الحرص على الصلوات والتبكير لها:

ذكر شفيق حرص المصلين في الرياض على التبكير لصلاة الجمعة، فإذا طرأ على أحدهم أمر يستوجب خروجه وضع عصاه ليعود لمكانه(٨٤).

ومن مظاهر ذلك تفقد المصلين في صلاة الفجر، مع ترتيب العقاب على من يتخلف عنها، إذ يعاقب للمرة الأولى بمصادرة كوفيته، فإذا عاد؛ عوقب بأخذ عباءته، وإذا عاد للمرة الثالثة؛ فيأمر مجلس الشرع بالضرب، والسجن عدة أيام(٨٥).

هذه الصورة تدل ندرة اللباس؛ حتى إن مصادرة (العمامة) أمر كارثي عند من تصادر منه، ويشتد الأمر حين تصادر (العباءة).

٩- الحشمة والستر عند النساء:

يذكر شفيق هذا عن النساء في حائل قائلًا:" وقد شاهدنا بعض النسوة يبعن الخبز، والفاكهة، والخضر، والدجاج والبيض في سوقها وهن محجبات بجلابيب سوداء، وفوقها جلباب بشكل العباءة، وهن في غاية الحشمة والوقار"(٨٦).

وهنا يبدو أن شفيقًا يكتب تقريرًا صحفيًّا؛ لذا فطن لجلباب أسود يعلوه جلباب آخر، وقد استنتج من هذه الصورة للباس غاية معنوية هي الحشمة والوقار.

١٠- الأناة والعطف:

يصور شفيق الأناة التي يتحلى بها النجديون، كما يمثل ذلك الملك عبد العزيز-رحمه الله-، ويدل عليه أنه عندما يسأل عن أمر يحتاج إلى إجابة ودبلوماسية، فإنه لا يبادر بالإجابة، يقول شفيق: "قلنا لجلالته: ما رأيكم بحادثة المحمل المصري؟ فأطرق جلالته قليلًا، ثم قال:"(٨٧) وهنا يمارس شفيق دور الصحفي ليحصل على تصريح من الملك يكون له سبقًا صحفيًّا.

كما أبرز صفة العطف كما يفعل الملك عندما خصص في قصرة غرفًا في الطابق الأول "لإطعام اللاجئين لساحته الملكية من فقراء البدو والسابلة"(٨٨).

١١- الكرم:

يصف شفيق الكرم في صورة الأفعال، كالذي تفيض به الأميرة نورة عندما يقول:" كانت تبعث إلي يوميًّا بمختلف ألوان الطعام"(٨٩).

ومن ذلك الكرم الفطريّ إكرام الوفود ابتداء، ثم هو نتيجة لولائهم للملك ففي قرية(جبة) عندما وصلت قافلة شفيق أُكرِم ومن معه، فقال: "فكأنهم بذلك عبروا عن سليقة الكرم العربي، ونابوا عن أميرهم خاصة"(٩٠). بعد أن قال: "وقد علمت أن بعض رجال القافلة التي سبقتنا أنباؤهم بوصول مصري متحضر ينوي زيارة أمير الرياض"(٩١).

---

(٨٠) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٤٧.

(٨١) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٤٩.

(٨٢) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٥١.

(٨٣) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٥١.

(٨٤) ينظر: مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٩.

(٨٥) ينظر: مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٩.

(٨٦) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢١.

(٨٧) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٤٥.

(٨٨) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٠.

(٨٩) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٦.

(٩٠) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٩.

(٩١) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٩.

ويفهم من قوله (متحضر) أن صفة التحضر التي منحت من أهل جبة للزائر المصري جاءت لأنه قد استقر في أذهانهم أن مصر بلد متحضر متقدم مقارنة ببلادهم. ويمتد هذا العطاء، والكرم مع الولاء يقول شفيق عن أمير بريدة ابن أمبيريك: "فخف لاستقبالنا باسم جلالة الملك ابن سعود استقبالًا هو غاية في الود، ونهاية في الكرم، وأنزلنا في داره ضيوفًا كرامًا"(٩٢).

وهكذا يذكر شفيق ويشيد في أكثر من موضع بالكرم والحفاوة التي وجدها في رحلته -مع قلة الموارد- حيث تبدو في عدة مظاهر، يقول: "قدم لي أمير الجوف من لحم الغزال والنعام طعامًا على مائدته"(٩٣).

١٢- البساطة:

ومن صور الأفعال مظاهر البساطة في القصر الملكي الدالة على المحبة بين الملك ورعيته، إذ ينقل لنا شفيق من مجلس الملك عندما يستقبل الوفود "ومما يذكر أن أولئك الإخوان يتحدثون إلى مليكهم كأنما يخاطبون واحدًا من إخوانهم البدو من الصحراء"(٩٤). وهنا يشبه الخطاب للملك بالخطاب بين الأخوة البدو في الصحراء؛ ليقرب المشهد، ونفهم من وجه الشبه رفع الصوت، والتخفف من الألقاب، والتبسط في الحديث.

بل استغرب شفيق بمخاطبة أحدهم له بقوله: "يا عبد العزيز"(٩٥).

ولم يُزِل الغرابة عند شفيق إلا همسة أحدهم في أذنه قائلًا:" ذلك هو الدستور الذي شرعه لنا هذا الملك فهو يقبله"(٩٦). وهذا التدخل ممن بجانبه صورة تشي بنباهة النجدي.

ومن مظاهر البساطة ما جرى في حفل زواج الأميرة سارة يقول شفيق:" فكانت حفلة في غاية البساطة"(٩٧).

وكانت تلك الحفلة مناسبة لإطعام الفقراء فقد " أمر جلالته بنحر خمسمائة شاة وتوزيعها على الفقراء والمعوزين"(٩٨).

إن هذا العدد الكبير مادام قد تعدى نفعه للفقراء فهو من مظاهر البساطة، مع أن هذا العدد مع قلة الموارد حينها أحد مظاهر الكرم والعطف، وهكذا أبانت صورة الأفعال عن بساطة القول، وبساطة المظهر على مستوى الملك وخاصته والحاشية؛ مما يلزم منه البساطة لدى العامة من باب أولى.

١٣ - أكل الرز باليد:

مما لفت نظر شفيق أكل الرز باليد "ولما كان هذا النوع من الطعام يستلزم تناوله بالملاعق، فإن النجديين لا يستعملون سوى قبضة أيديهم"(٩٩).

إن شفيقًا حين ينتقد أكل الرز باليد دون الملاعق مستغربًا، فإنه يتأفف كذلك من عدم غسل اليدين بالصابون؛ وربما فاته أن الأكل الدسم في نجد نادر؛ لأنه مرتبط بالصيد، ولعل النجديين -خاصة البدو- يعفرون أيديهم بالتراب، وأن جلَّ طعامهم التمر والأقط، مع الأخذ بالاعتبار أن طبيعة الترحال؛ تجعل اهتمام النجديين بالطعام قليلًا؛ فيفوت التنويع في الموائد؛ ليغيب عنهم التفنن في أدوات الأكل وطرق التناول.

١٤- أكل الجراد:

سلك شفيق في انتقاله من بريدة للرياض طريق المستوي، ولم يجد في طريقه ما يذكر" غير أن أهل القرى يأكلون الجراد، وهم ينتظرون مواسمه كما ينتظر سكان مصر موسم السمان"(١٠٠).

وكأنه هنا بهذا التشبيه للحالتين يعقد مقارنة وهو يسوغ انتظار السمان دون الجراد، بل إنه يعجب من تفاؤلهم

(٩٢) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٥.

(٩٣) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ١٨ .

(٩٤) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٤.

(٩٥) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٤.

(٩٦) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٤.

(٩٧) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٣.

(٩٨) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٣.

(٩٩) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٨.

(١٠٠) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٧.

بموسمه، خلاف أهل مصر حين يتشاءمون منه فيستعد الفلاحون لمطاردته، ثم يتندر شفيق عندما يتخذ من الجراد قديدًا: "ولا أدري أهم يقددونه بطريقة التعقيم أم بطريقة أخرى لا تزال غائبة عن معامل برشلونة"(١٠١).

ولا شك أن معرفة شفيق بمعامل برشلونة كما يعرف مياه (فيشي) المعدنية الفرنسية يصف المدنية التي كان يعيشها شفيق في مصر، ويجد ما يضادها في نجد؛ لذا يأتي الاستغراب متبوعًا بالمقارنات.

ولا أدري عن معرفة شفيق بأن أكل الجراد مما أحدثه النجديون، المعروف يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "أحلت لنا ميتتان: الحوت والجراد"(١٠٢).

وهنا لا نلوم شفيقًا على استغرابه؛ لأن الرحّال في تعابيره ينطلق من خلفياته الذهنية، فيكون خطابه حوارًا مع الخطابات المحيطة به، ممتزجًا مع الجوقة المعقدة للأصوات الأخرى التي وجدت أو ستوجد(١٠٣).

١٥- الأصوات واللهجات:

إن دقة الملاحظة عند شفيق دلته على اختلاف لهجة النجديين عن لهجة عرب مصر "بل وعرب الحجاز أيضًا فهم يبدلون الكاف تاء مشددة"(١٠٤).

كما تنبه شفيق لبعض المفردات التي اختصَّ بها النجديون مثل قولهم: (سم) وهي "تعني تفضل، أو سم حاجتك، أو قل بسم الله"(١٠٥). ويبدو أن شفيقًا كان يرهف السمع حتى وصف قراءة النجديين بأن لها "نغمة مخصوصة يخيل إلى سامعها من غير النجديين أنه يستمع لـ(الأخنف) ولكنهم يفعلون ذلك مبالغة في الخشوع والتصوف"(١٠٦).

وهو يريد بالطبع تنغيم المواعظ التي تكون في المساجد، وهو تقليد متوارث يساعد على الخشوع، والمراد أن شفيقًا قد تنبه لهذه الجزئيات، ثم إن شفيقًا لا يعبر هنا عن موقف معين تجاه هذا المشهد، إنما يبرز تلك السمة، وهي ترتيل المواعظ، لكنه في الوقت ذاته عبر عنها حسب ما يرى ويسمع؛ لأن الشعائر الدينية، هي الظاهرة في الفضاء النجدي العام.

١٦- قابلية النجدي للتطور:

أشار شفيق إلى استعداد النجدي للتطور؛ إذ يقول: "ومقدار قابليتهم واستعدادهم للأخذ بأسباب الحضارة"(١٠٧).

ويبدو ذلك عندما يشير شفيق للتفاوت في هذه الصفة بين بلد وآخر، إذ يقول: إن أهل بريدة أكثر تقبلًا للآخر، واستنتج من ذلك أن" جلالة الملك ابن سعود يختار عادة من مفكريها ورجالها المتعلمين من يمثلون بلاده بالخارج"(١٠٨).

وشفيق هنا يرى أن هذه الشخصيات في هذه البلاد، وفي تلك الحال، والظرف المتوثب لديهم استعداد للتطوير مع التمسك بأصول المعتقد، وهذا يدل على وعي فكري رغم البساطة في مظاهر الحياة.

نبوءة شفيق:

إن دقة الملاحظة لدى شفيق جعلته يستثمر الحاسة السادسة، حين أعمل ذهنه ليربط بين المتباعدات، فصدقت نظرته بحدوث التوقعات، من ذلك أنه لما رأى التطور السريع للخدمات العامة في مكة قال: " كل ذلك يحمل على الاعتقاد بحسن الحال في مستقبل الأيام"(١٠٩).

بل إن مآل المملكة عمومًا قد توقعه شفيق، بعد أن استعرض في مقالاته جملة من المنجزات للدولة السعودية فقال: "ومما لا ريب فيه أن بلادًا كهذه -وقد خرجت من عزلتها ووضعت يدها بأيدي جاراتها من البلاد المتحضرة-

(١٠١) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٧.

(١٠٢) محمد بن يزيد القزويني، *سنن ابن ماجه*، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة دار إحياء الكتب العربية)، ٢: ١٠٧٣.

(١٠٣) ينظر: تزفيتان تودوروف ميخائيل باختين، *المبدأ الحواري*، ترجمة فخري صالح، الطبعة الأولى (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٢)، ٣٣.

(١٠٤) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٣٩.

(١٠٥) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٤٠.

(١٠٦) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٤٠.

(١٠٧) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٨.

(١٠٨) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٢٦.

(١٠٩) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٤٩.

سيكون لها حظها من الحضارة بحكم المجاراة على ممر الأيام"[١١٠].

وفي آخر هذا البحث يحسن ختامه بما ختم به شفيق مقالاته، وتحديدًا في الأسطر الثلاثة الأخيرة منها، وهي تدل على أنه يكتب بحس عروبي وإسلامي، كما تشي كذلك بنضج، ويظهر منها أنه يكتب سالمًا من الأهواء يقول: "وإنا لنسأل الحق -جلّت قدرته- أن يكتب للإسلام والمسلمين اتحاد الكلمة، ورفع راية الإسلام بين الأنام، وأن يوطد دعائم الحب والولاء بين ملوك الناطقين بالضاد"[١١١].

مقارنة:

في نهاية هذه الدراسة يحسن عقد مقارنة بين رحلة محمد شفيق وبين رحلة إبراهيم عبد القادر المازني[١١٢]؛ لمنح الدراسة عمقًا ثقافيًّا، من خلال العرض لأوجه التماثل والتشابه، وأوجه الاختلاف بين النصين.

أولا: أوجه التماثل والتشابه:

١-توقيت الرحلتين جاء في فترة التوحيد والتأسيس، وإن كان السبق لرحلة شفيق التي كانت في عام ١٣٤٦؛ لأن رحلة المازني كانت في عام ١٣٤٨، وقد اشتركا في الوصول للحجاز، وكلاهما لم يصل للمدينة النبوية.

٢-الرحالان من مصر، وكلاهما من الطبقة المثقفة، ومن الصحفيين في جريدة السياسة.

٣-الرحلتان لهما طابع الدبلوماسية، كما كان منطقهما من السمعة التي وصلتهما، ومن الخلفية ذاتها، وكلاهما كان شغوفًا باكتشاف الوجهة، وكلاهما يملك دقة الملاحظة.

٤-كلاهما تناول الرجل النجدي، والمرأة النجدية، وكانا يظهران الموصوف سلبًا أو إيجابًا حسب المقام، كما أنهما ينحوان أحيانًا نحوًا ساخرًا حسب الموقف كذلك.

٥-كلاهما سرد الأحداث، وأبرز البعد الجسمي في صورة الأشكال، كما ركزا على المعاني التي تمنحها الصورة بعد استنطاقها، ومن تلك المعاني التي اتفقا عليها الثنائيات الضدية للملك والأمراء.

ثانيا: أوجه الاختلاف:

١-رحلة المازني زيارة دبلوماسية رسمية تلبية لدعوة خاصة، بينما كانت رحلة شفيق رحلة دبلوماسية غير رسمية جاءت تلبية لدعوة عامة.

٢-سلك المازني طريق البحر إلى الحجاز، بينما سلك شفيق طريق البر، وكانت المساحة الجغرافية التي غطتها رحلة شفيق أكبر، وبالتالي فإن المسافات التي قطعها شفيق أطول.

٣-شملت رحلة شفيق شمال غرب المملكة ونجد والحجاز، أما رحلة المازني فقد اقتصرت على إقليم الحجاز.

٤-امتدّت رحلة المازني ستة أيام، بينما بلغت رحلة شفيق ثمانين يومًا تقريبًا.

٥-جلُّ الحديث عند شفيق عن النجديين، بينما كان جلُّ الحديث عند المازني عن أهل الحجاز.

٦-تفوق أسلوب الأديب عند المازني؛ لأنه يجنح أحيانًا إلى التعبير الصحفي الخيالي الساخر، أما شفيق فهو أقرب إلى الوصف الواقعي؛ لذا لا يلجأ إلى التشبيه -مثلًا- إلا لتقريب الصورة، وذلك حين يعقد مقارنة بين الصورة المنقولة أمامه، والصورة المعهودة عنده.

٧-نالت رحلة المازني قدرًا من الدراسات[١١٣] بينما لم تنل رحلة شفيق شيئًا منها.

---

(١١٠) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٥٧.

(١١١) مصطفى، *في قلب نجد والحجاز*، ٥٨.

(١١٢) ينظر: إبراهيم عبد القادر المازني، *رحلة إلى الحجاز*، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢).

(١١٣) ينظر: نوير بنت سعيد بن عبود، "القيمة التاريخية والثقافية في الرحلة الحجازية"، مجلة كيرلا (٢٠٢٣) وينظر: حمد الجاسر، "رحلة الحجاز لإبراهيم بن عبد القادر المازني"، *مجلة العرب*، ٢٦، (١٩٩١)، وينظر: عبد الحليم عبد الفتاح محمد عويس، *دولة الملك عبد العزيز كما صورها الأديب المصري المازني*، ندوة العلاقات المصرية السعودية في النصف الأول من القرن العشرين، (جامعة الزقازيق ورابطة الجامعات الإسلامية، ١٩٨٧) مج ١.

الخاتمة:

وهكذا جاءت مقالات شفيق، وما فيها من انطباعات، وقناعات، تصويرًا لدولة في طور التأسيس، تصاغ على غير مثال في ظروف غير مسعفة، كما أبرز شفيق موقفًا ذهنيًّا جديدًا، وجاءت صوره بناء على ما يقف عليه؛ إيجابية فيما يخص الملك والأمراء، وسلبية فيما خالف المعهود لديه، واختصت ببعض الممارسات لعامة النجديين، وتلك المواقف حملت دلالات واضحة تتعلق بالتاريخ والمجتمع، وجاءت تعابيره الساخرة بحس فكاهي عارض.

ومن خلال هذا النص الرحلي أقام شفيق حوارًا بين ثقافتين بطريقة قصصية اعتمد فيها على السرد، والتصوير للشخصيات والأفعال لعدة شخصيات في مناطق مختلفة، ولطبقات متعددة، مع الأخذ بالاعتبار أنه لم يحكم مسبقًا، إنما مارس دور المستطلع، والصحفي المثقف المحايد، وحضر في مقالاته الوصف المبني على دقة الملاحظة، وأبانت تلك الصور عن أبعاد ودلالات سياسية، وثقافية، واجتماعية، وتاريخية، وهي وثيقة مهمة؛ نظرًا لصاحبها، ولدافعها، وتوقيتها، وتنبؤاتها. أما أسلوب محمد شفيق فيمكن وصفه بالنموذج الفني الحي، فهو سهل مستقيم ناضج التجربة، وهو الأسلوب الذي تتمتع به عادة أساليب الرحالة.

وقد خرجت هذه الدراسة بنتائج من أهمها ما يأتي:

-امتازت مقالات الرحلة بالتنوع، والإحاطة، والمعلومات، والمقارنات بين القطر المصري ومملكة نجد والحجاز، مع الوصف الدقيق المتكئ على دقة الملاحظة، وتحري الحقيقة، وعلى إصدار الحكم المعلل. وقد نقل لنا شفيق عبر القصّ والحكي أفكاره، وانفعالاته، وانطباعاته.

-استطاع شفيق أن يحدد معالم الشخصية النجدية حسًّا ومعنى من خلال صورة الأشكال، والأفعال حين رسم تقاسيم الوجه، ولونه، والجسم، واللباس، والتصرفات.

-من خلال صورة الأشكال سبر شفيق الملامح وعرف دلالاتها التي تعني في الغالب الذكاء وعذوبة الحديث، كما يبرز من خلال الصورة الثنائيات الضدية حين تجمع الشخصية مثلًا بين الصلابة واللين. كما دلت صوره على القوة، وسلامة الحواس، وعلى أثر الصحراء فيها وعليها، كما كشفت عن معانٍ منها: صحة المعتقد، والفقه في الدين، والولاء للملك، والبساطة، والكرم.

-تم تركيز شفيق على شخصية الملك عبد العزيز؛ مما منح تصورًا كاملًا عن شخصية الملك، وتبين انعكاس شخصيته على بعض المظاهر للحالة العامة للنجديين.

-تأتي أوصاف شفيق واقعية وإيجابية عندما يكون الحديث عن شخصية الملك أو الأمراء، أما الشخصيات العامة، فإنه يكتب بعفوية فيتبسط بالقول، إلى حد السخرية أحيانًا.

-لا ينفك تصوير شفيق للشخصية وأفعالها عن ذاته، وهذه المقالات نصوص أنتجت بتعبير سهل مستقيم غني بالتجربة؛ لإبراز تلك الصور والمشاهدات بقصد، وهي جزء من مكونات وتراكمات ذهنية وفكرية تأثر بها الكاتب، وأراد التأثير بها.

-تحققت نبوءة شفيق أو توقعاته لما ستؤول إليه تلك البدايات للدولة السعودية.

التوصيات:

دراسة أدب الرحلات الذي لم ينل حقه مثلما نال غيره؛ ليكون "عونا لناشئة الأدب على هذا الضرب من الكتابة الأدبية الوصفية الذي هم في حاجة لإتقانه"[١١٤]. ولأن أدب الرحلات يقدم الحقائق كماهي بأسلوب أدبي، والحقائق أنفع – في نظري – لبناء الفرد، والمجتمع من الخيال.

وأدعو إلى تناول رحلة محمد شفيق من النواحي الجغرافية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية، والاجتماعية وغيرها؛ لأنها وإن حظيت بتحقيق خدمها فإنها لم تحظ بدراسات مثل غيرها.

المصادر:

مصطفى، محمد شفيق. *رحلة في قلب نجد والحجاز*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م.

(١١٤) ينظر: عزام، *رحلات عبد الوهاب عزام*، ٤.

المراجع:

باختين، ميخائيل. *المبدأ الحواري*. ترجمة. فخري صالح، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.

البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. القاهرة: من إصدارات وزارة الأوقاف المصرية، ١٤٢٨.

الجاسر، حمد. *في شمال غرب الجزيرة*. الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٠.

الجاسر، حمد. "رحلة الحجاز لإبراهيم بن عبد القادر المازني"، مجلة *العرب*. ٢٦، (١٩٩١).

جريدة أم القرى، عدد: ٥٤، ٨ جمادى الثانية، (١٣٤٤).

حجاجي، سليمان. *صورة السلطان مولاي عبد الله بعيون الأسير السويدي ماركوس بيرغ*، جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية مركز دراسة الدكتوراه ٥، ٢٠١٧.

حلمي، إبراهيم. *المحمل*. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩٣.

حنطور، أحمد محمد. *الرحلة إلى بلاد الحجاز في الأدب المصري الحديث – دراسة ونقد وموازنة*. القاهرة: مكتبة الأدب، ٢٠١٦.

خليل، محمد محمود. رحلة في قلب نجد والحجاز. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٣٠.

الدرعية، مجلة فصلية محكمة تعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية وتراث العرب، السنة الثانية، عدد. ٨ (شوال ١٤٢٠): ٨٥.

الرباعي، عبد القادر. *الصورة الفنية في النقد الشعري*. الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٩.

الزركلي، خير الدين. *الأعلام*. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠.

زينهم، محمد. *رحلة ابن جبير*. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٢١.

الساوري، بوشعيب. *الرحلة والنسق دراسة في إنتاج النص الرحلي*. بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠١٧.

أبو سعد، أحمد. *أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي دراسة ومختارات*. ١٩٦١.

أبو شريفة، عبد القادر، *مدخل إلى تحليل النص الأدبي*، بيروت: دار الفكر العربي، ٢٠٠٨.

عبد النور، جبور. *المعجم الأدبي*. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

بن عبود، نوير بنت سعيد. "القيمة التاريخية والثقافية في الرحلة الحجازية". *مجلة كيرلا*، (٢٠٢٣).

عزام، عبد الوهاب. *رحلات عبد الوهاب عزام*. القاهرة: شركة نوابغ الفكر،٢٠١٦.

عطار، أحمد عبد الغفور. *صقر الجزيرة*. بيروت: مؤسسة عبد الحفيظ البساط، ١٣٩٩.

عمر، أحمد مختار. *اللغة واللون*. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧.

عويس، عبد الحليم عبد الفتاح محمد. *دولة الملك عبد العزيز كما صورها الأديب المصري المازني*. ندوة العلاقات المصرية السعودية في النصف الأول من القرن العشرين، جامعة الزقازيق ورابطة الجامعات الإسلامية: مج ١، ١٩٨٧.

بو قراط، طيب. *فن الرحلة دراسات أدبية*. الأردن: دار غيداء، ٢٠١٧.

ابن ماجه، محمد بن يزيد. *سنن ابن ماجه*. تح. محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

المازني، إبراهيم عبد القادر. *رحلة إلى الحجاز*. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢.

المتنبي، أبو الطيب. *ديوان المتنبي*. تح. عبد الرحمن المصطاوي. الطبعة الخامسة، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٩.

المحيط (للتأريخ). كتاب إعلامي توثيقي لبدايات المملكة العربية السعودية، الرياض: إصدار نبراس للإعلام والعلاقات، ١٤٠٧.

مصطفى، محمد شفيق أفندي. *في قلب نجد والحجاز*. مصر: مطبعة المنار، ١٣٤٦.

بو ملحم، علي. *في الأسلوب الأدبي*. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٨.

منير، عمرو عبد العزيز. *أشهر الرحلات العربية من الأسطورة إلى الفضاء*. القاهرة: مكتبة النافذة، ٢٠١٠.

موسى، بشرى صالح. *الصورة الشعرية في النقد الأدبي الحديث*. بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤.

الوليعي، عبد الله بن ناصر. *بحار الرمال في المملكة العربية السعودية*. ١٤١٧.

References:

Muṣṭafá, Muḥammad Shafīq. Riḥlat fī qalb Najd wa-al-Ḥijāz. al-Mamlakah al-Muttaḥidah : Mu'assasat Hindāwī, 2012.

Bākhtīn, Mīkhā'īl. al-mabda' al-Ḥawwārī. tarjamat. Fakhrī Ṣāliḥ, al-Qāhirah : ru'yah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 2012.

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī. al-Qāhirah : min Iṣdārāt Wizārat al-Awqāf al-Miṣrīyah,1428.

al-Jāsir, Ḥamad. fī Shamāl Gharb al-Jazīrah. al-Riyāḍ : Dār al-Yamāmah, 1970.

al-Jāsir, Ḥamad. "Riḥlat al-Ḥijāz li-Ibrāhīm ibn 'Abd al-Qādir al-Māzinī", Majallat al-'Arab. 26, 1991.

Jarīdat Umm al-Qurá, 'adad : 45, 8 Jumādá al-thāniyah, (1344).

Ḥajjājī, Sulaymān. Ṣūrat al-Sulṭān Mawlāy 'Abd Allāh bi-'uyūn al-Asīr al-Suwaydī Mārkūs byrgh, Jāmi'at al-Ḥasan al-Thānī Kullīyat al-Ādāb wa-al-'Ulūm al-Insānīyah Markaz dirāsah al-duktūrāh 5, 2017.

Ḥilmī, Ibrāhīm. al-Maḥmal. al-Qāhirah : Maktabat al-Turāth al-Islāmī, 1993.

Ḥanṭūr, Aḥmad Muḥammad. al-Riḥlah ilá bilād al-Ḥijāz fī al-adab al-Miṣrī al-ḥadīth – dirāsah wa-naqd wa-muwāzanah. al-Qāhirah : Maktabat al-adab, 2016.

Khalīl, Muḥammad Maḥmūd. Riḥlat fī qalb Najd wa-al-Ḥijāz. Bayrūt : al-Dār al-'Arabīyah lil-Mawsū'āt, 1430.

al-Dir'īyah, Majallat faṣlīyah Maḥkamat tu'ná bi-tārīkh al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah wa-al-Jazīrah al-'Arabīyah wa-turāth al-'Arab, al-Sunnah al-thāniyah, 'adad. 8 (Shawwāl 1420) : 85.

al-Rabbā'ī, 'Abd al-Qādir. al-Ṣūrah al-fannīyah fī al-naqd al-shi'rī. al-Riyāḍ : Dār al-'Ulūm lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr, 1409.

al-Ziriklī, Khayr al-Dīn. al-A'lām. Bayrūt : Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, 1990.

Zaynahum, Muḥammad. Riḥlat Ibn Jubayr. al-Qāhirah : Dār al-Ma'ārif, 2021.

al-Sāwirī, Būshu'ayb. al-Riḥlah wa-al-nasaq dirāsah fī intāj al-naṣṣ alrḥly. Bayrūt : Mu'assasat al-Riḥāb al-ḥadīthah, 2017.

Abū Sa'd, Aḥmad. adab al-riḥlāt wa-taṭawwuruh fī al-adab al-'Arabī dirāsah wa-mukhtārāt. 1961.

Abū Sharīfah, 'Abd al-Qādir, madkhal ilá taḥlīl al-naṣṣ al-Adabī, Bayrūt : Dār al-Fikr al-'Arabī, 2008.

'Abd al-Nūr, Jabbūr. al-Mu'jam al-Adabī. Bayrūt : Dār al-'Ilm lil-Malāyīn, 1984m.

Ibn 'Abbūd, Nuwayr bint Sa'īd. "al-qīmah al-tārīkhīyah wa-al-thaqāfīyah fī al-Riḥlah al-Ḥijāzīyah". Majallat kyrlā, 2023.

'Azzām, 'Abd al-Wahhāb. riḥlāt 'Abd al-Wahhāb 'Azzām. al-Qāhirah : Sharikat Nawābigh al-Fikr, 2016.

'Aṭṭār, Aḥmad 'Abd al-Ghafūr. Ṣaqr al-Jazīrah. Bayrūt : Mu'assasat 'Abd al-Ḥafīẓ al-Basāṭ, 1399.

'Umar, Aḥmad Mukhtār. al-lughah wa-al-lawn. al-Qāhirah : 'Ālam al-Kutub, 1997.

'Uways, 'Abd al-Ḥalīm 'Abd al-Fattāḥ Muḥammad. Dawlat al-Malik 'Abd al-'Azīz kamā ṣuwaruhā al-adīb al-Miṣrī al-Māzinī. Nadwat al-'Alāqāt al-Miṣrīyah al-Sa'ūdīyah fī al-niṣf al-Awwal min al-qarn al-'ishrīn, Jāmi'at al-Zaqāzīq wa-Rābiṭat al-jāmi'āt al-Islāmīyah : Majj 1, 27.

Bū qrāṭ, Ṭayyib. Fann al-Riḥlah Dirāsāt adabīyah. al-Urdun : Dār Ghaydā', 2017.

Ibn Mājah, Muḥammad ibn Yazīd. Sunan Ibn Mājah. ṭḥ. Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī, al-Qāhirah : Maṭba'at Dār Iḥyā' al-Kutub al-'Arabīyah.

al-Māzinī, Ibrāhīm 'Abd al-Qādir. Riḥlat ilá al-Ḥijāz. al-Qāhirah : Mu'assasat Hindāwī lil-ta'līm wa-al-Thaqāfah, 2012.

al-Mutanabbī, Abū al-Ṭayyib. Dīwān al-Mutanabbī. ṭḥ. 'Abd al-Raḥmān almṣṭāwy. al-Ṭab'ah al-khāmisah, Bayrūt : Dār al-Ma'rifah, 1429.

al-Muḥīṭ (lil-ta'rīkh). Kitāb i'lāmī tawthīqī lbdāyāt al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah, al-Riyāḍ : iṣdār Nibrās lil-I'lām wa-al-'alāqāt, 1407.

Muṣṭafá, Muḥammad Shafīq Afandī. fī qalb Najd wa-al-Ḥijāz. Miṣr : Maṭba'at al-Manār, 1346.

Bū Mulḥim, 'Alī. fī al-uslūb al-Adabī. Bayrūt : Dār wa-Maktabat al-Hilāl, 2008.

Munīr, 'Amr 'Abd al-'Azīz. ashhar al-riḥlāt al-'Arabīyah min al-usṭūrah ilá al-faḍā'. al-Qāhirah : Maktabat al-Nāfidhah, 2010.

Mūsá, Bushrá Ṣāliḥ. al-Ṣūrah al-shi'rīyah fī al-naqd al-Adabī al-ḥadīth. Bayrūt : al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, 1994.

al-Walī'ī, 'Abd Allāh ibn Nāṣir. Biḥār al-rimāl fī al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah.1417.